فزارت الفيلسوف مع أمها شاكرة له.

هنالك نشط الأمل وتجددت الحياة ، واعتقد الفيلسوف أنه سعيد . واستأنف الحاحه على الفتاة ، واستأنفت الفتاة مدافعته عن نفسها ، واحتالت فى ذلك حتى زعمت له أنها قد أحبت من قبله فتى كان لحبها أهلا ، وأحبها الفتى وسعد بهذا الحب ؛ ولكن لم يجدا الى الزواج سبيلا . لأن الفتى كان معلقاً مثلها بخاصر امرأته ولا يستطيع لها فراقا . فيئست من الحب والسعادة ، وأزمعت أن تنصرف عن لذات الحياة أبدا . ولكن الفيلسوف مغرم . والغرام لا يعرف اليأس ، وهو اذا كان صحيحاً قويا قد يتحول ويتشكل ، ولكنه لا يزول . وما الذى يمنع غرام كونت أن يتخذ شكلا فلسفيا ولو الى حين . لقد كان عود نفسه الحرمان منذ دهر طويل ، فألغى القهوة منذ عشرين سنة ، وترك التدخين منذ عشر سنين ، ثم ألغى النبيذ ثم ألغى الفاكهة ، ثم اتخذ ميزاناً يزن به ما يلائم حاجة جسمه من الطعام الخشن ، وكان ربما يكتفى بالكسرة من الخبز يتبلغ بها ، وهو يفكر فى اخوانه من الناس الذين قد لا يظفرون بمثلها . ومادام قد سيطر على نفسه الى هذا الحد . وعودها هذا الحرمان فى الطعام والشراب ، فماله لا يزيد هذه السيطرة وماله لا يعود نفسه الحرمان لا فى الحب بل فى لذات الحب . إذاً فليق حبه قويا حارا ؛ ولكن ليظل هذا الحب نقيا طاهرا مجدبا من كل لذة ، وليتظر ، وليجتنب اليأس . فكل شىء يدنى الفتاة منه . وكل شىء يدنيه من الفتاة . لقد أصبحت زميلة له منذ نشرت بعض الصحف السيارة لها قصتها التى وضعتها عن نفسها فأصبحت كاتبة مثله تتحدث الى الناس فى الأدب كما يتحدث هو الى الناس فى الفلسفة . هما إذاً زميلان ، بل هما أكثر من زميلين ؛ فقد أخذت الفتاة تدنو من مذهبه فى الفلسفة . وتحس ميلا الى آرائه الاجتماعية . وتكون منه مكان التلميذ والنصير . فليحب إذاً وليصبر . وفى أثناء ذلك كانت أم الفتاة تقول لها : لولا أن مسيو كونت قبيح دميم لقلت انه يتملقك ويدور حولك كما يدور العاشقون حول من يحبون . ومع ذلك فان من الحق عليه لك ولنفسه أن يفكر فى أن هذه الزيارات المتصلة المنظمة ، لا تليق بك ولا به لأنها تخالف العرف المألوف أشد الخلاف .

« يتلى »

اظر مجلة الحالمين التى صدرت فى أول فبراير سنة ١٩٣٣

الوادى [1]

للشاعر الفرنسى لامرتين

ان قلبى المكلوم ، المتقطع حبل رجائه حتى من الأمل ، لن يزعج الأقدار بعد الآن بابتهالاته كما كان يزعجها من قبل .

ولكن أيها الوادى ، يامأوای فى أيام طفولتى ، افسح لى مجالا — ولو ليوم واحد — فأعيش فى ربوعك فى انتظار المنون .

* * *

هاهى ذى الطريق الضيقة المؤدية الى ذلك الوادى المظلم .

هنا ، فى أحضان هذه الروابى ، تقوم أشجار تلك الغابات الكثيفة ، فترسل ظلها على وجهى الشاحب ، وتحوطنى بسكون مسكر .

* * *

وهناك جدولان يجريان تحت « جسور (٢) » من الأعشاب الخضوضرة ، فيرسلان فى انسيابهما تعاريج الوادى ومنحدراته . وتراهما بين الفينة والفينة ، يمزجان تموجاتهما الفضية بألحان خريرهما العذبة ، ثم يتلاشيان قريبا من المنبع ، بعيداً عن أعين الناس .

* * *

وأيامى فى انسيابها أشبه بهذين الجدولين ! فهى تمضى وتتلاشى دون أن يشعر بها الناس ، ودون أن تحدث ذلك الخرير العذب ! أما نفسى الكئيبة الملتاعة فهيهات أن تعنى بحياة يوم جميل من أيام حياتى .

* * *

ان خمائل الوادى الفيحاء ، بظلها المخيم ، دفعتنى لقضاء النهار (٣) كله على ضفاف جداولها . فنفسى الحساسة تغفو على أنغام خرير المياه ، كما يغفو الطفل فى مهده على صوت المناغاة .

* * *

هناك تحوطنى الطبيعة بأسوار من العشب الأخضر ، وبأفق محدود ، لكنه فسيح لناظرى .

---

١) نظم لامرتين هذه القطعة الشعرية المنازة فى أواخر عام ١٨١٩ ، بعد أن قام فى الوادى الذى يعنيه Pérouillet سنة كاملة .

٢) أصل هذه الكلمة Ponts وقد احتفظنا بمعناها الصريح .

٣) هنا يتذكر الشاعر يوما مشئوما كاد يموت فيه غرقا فى بحيرة صغيرة لولا تنبه أحد أصحابه إليه وتخليصه .

انى أحب أن أثبت قدمى ، وأن أبتعد عن الناس لأسمع خرير المياه ، ولأتمتع برؤية السماء .

* * *

لقد رأيت فى حياتى أموراً كثيرة ، وشعرت باحساسات جمة . وملأت أيامى عشقا . والآن جئت أسترجى الطبيعة فى هدوئها الشامل .

أيتها الأماكن البهيجة الجميلة ! كونى لى تلك الضفاف التى ينسى الانسان بقربها كل شىء . فقد أصبح سر سعادتى فى النسيان .

هنا يطمئن قلبى : هنا ترتاح نفسى : هنا تلفظ صوضاء العالم البعيد أنفاسها الأخيرة كما يلفظ الصوت البعيد أنفاسه حين تعذبه الشقة قبل أن يصل مع النسيم الى الأذن الحائرة .

* * *

من هنا ، ومن خلال هذه الغيوم الصافية ، أرى ماضى حياتى يختفى فى ظلام دامس . تاركا فى نفسى ذكريات حية لحى . كما تترك اليقظة فى نفس المستيقظ صور خيالات جميلة لحلم لذيذ قد استفاق منه .

* * *

يانفسى ! خذى حظك من الراحة فى هذا المنزل الأخير كما يأخذ المسافر الطافح قلبه بالآمال ، حظه من الراحة ، قبل أن يدخل أبواب المدينة . يستنشق هنيهة نسيم الماء المعطر .

* * *

ولننهض نحن أيضا كما يفعل هذا المسافر ، لأننا لن نمر ثانية فى هذه الطريق التى اجتزناها ملوثة بالغبار . ولتذوق مثله أيضا ، فى آخر مرحلة من طريقنا ، هذا الهدوء الذى يبشرنا بضجعتنا الابدية .

* * *

أيها الانسان ! ان أيامك المعدودة ، التى تشبه فى حلكتها وقصرها أيام الخريف ، تتحدر بك كما ينحدر الظل على جوانب الهضاب . فالصداقة تخونك ، والرحمة تعرض عنك ، الى أن تتركك فى طريق القبر وحيدا .

* * *

ولكن الطبيعة هنا تدعوك اليها لتشك أشواقها ، فارتم فى أحضانها .

عند ما يقلب لك كل شىء ظهر المجن ، عند ما يخونك كل شىء ويعرض عنك ، ترى الطبيعة على حالها المعهودة . فالشمس نفسها تشرق طيلة أيام حياتك .

* * *

ان الطبيعة لم تزل كما كانت عليه بالامس . ترشدنا تارة بنور حقيقتها ، وتضللنا أخرى . فلا تأسف أيها الانسان لكل ما تضيعه من متاع الحياة الدنيا ، وتعال نعيد ذلك الصدى وألحان تلك الموسيقى العلوية كما كان يتعبدهما « فيثاغورس (١) » من قبلك .

* * *

دع الطرف يناجى النزالة فى سمائها نهارا . والاشباح فى محرابها ليلا ؛ واسبح مع الغيوم على بساط الريح ؛ واخترق غابات الوادى الظليلة مع أشعة ذلك الكوكب الخفى .

* * *

ان الله خصك أيها الانسان بالعقل والفطنة لكى تتحقق بهما وجوده . فاستجله فى صحيفة الطبيعة ، فان فى سكونها وهدوئها صوتا يهتف باسمه .

من منا لم يسمع هذا الصوت يدوى فى أعماق قلبه ؟ .

بيروت — محمد كرما

---

١) هو علم وفيلسوف يونانى ، عاش فى القرن السادس قبل المسيح . تعمق الطبيعة ، وهو مدين لها بكثير من بحوثه العلمية كسرعة الصوت فى الهواء ، وأسباب حدوث الصوت . الخ . . .

oooooooooooo

غـــيرة

قد زرعنا بين أفواف الربا — وردة الحب لاقبال الربيع
داعبتها عند إقبال الصبا — نسمة الآصال والصبح الوديع

....

خلع الروض شذاه بعدها — وحبتها اللون وجنات الحبيب
فهى كالنار ، ولكن عندما — تشتهى الأفواه تقبيل اللهيب

....

كان قلبى مسرح الود الندى — وسقته العين أمواه الحياه
وعزيز أن أرى غرس يدى — تحتويه بين عينى الشفاه

....

وردة الحب استباحت أدمعى — وتولت عند إقبال الخريف
عذبت قلبى وأبكته معى — وأرتنى كيف إذلال الضعيف

« محمود محمد متصر »